

الأسلوبية

obeikandi.com

الأسلوبية

تعود الأسلوبية في جذورها البعيدة إلى تراثنا العربي القديم ، إذ تناولها النقاد العرب في تأليفهم التي وعتها الذاكرة العربية ، فقد أشار إليها عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم .

و الأسلوبية منهج يقوم على دراسة النص من حيث الأسلوب وتحليله لغويًا ، مما تحمل اللغة من انحراف وانزياح عن المؤلف ، وفي ضوء المعايير الفنية ، والعلاقات التي يلجأ إليها الكاتب لتنظيم جملة وصياغة عباراته على نحو يؤدي إلى الانسجام وتآلف النص .

وقبل الخوض في الحديث عن الأسلوبية من منظورنا المعاصر نتوقف قليلاً مع شيخنا الجرجاني في نظرية النظم .

وهي تقوم في أساسها على التأليف بين الكلام ، وضم بعضه إلى بعض ، إذ لا مزية للفظة وهي مفردة ، ولا يقوم لها كيان ولا تتضح إلا من خلال دخولها في سياق ، ووجد أنها لا تؤدي معنى المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة ، وبناء لفظة على اللفظة^(١) .

و النظم – بذلك – قائم على المعنى ، وما يتصل به من علاقات تستمد من المسند والمسند إليه ، وتعدية الفعل إلى مفعوله ، وارتباط

١- دلائل الإعجاز ص ٨٧.

النعته بالمنعوت و المعطوف بالمعطوف عليه ، و الحال بصاحبه ، إلى غير ذلك من العلاقات التي تعتمد في أساسها وما بينها من سبك وتنظيم على علم النحو .

وعليه تكون الألفاظ بمثابة رموز ودلائل على ما تخبئه من معاني ودلالات يكشف عنها دخول اللفظة في اسياق و التركيب " فالألفاظ سمات لمعانيها ، ولذا لا يتصور أن تسبق الألفاظ معانيها ، وذلك ضرب من المحال" (١) .

ولا يفهم من ذلك أن الجرجاني الذي يلح على جانب النظم – يغفل جانب الدلالة ، وما تشي به الألفاظ داخل السياق ، فهو حريص على إبراز دلالات الألفاظ ، وما تحمل من معنى ، وأن يتسم التركيب بدلالة خاصة : إخبار ، أو تعجب ، أو استنكار ، أو افتخار أو استهجان و يؤكد الجرجاني ذلك بمثال يبرز فيه علم النحو في نظم الكلم ليؤدي المعنى و الدلالة ، حين يعلق على مخرج معلقة امرئ القيس (قفانك) بقوله :

" فلو أزلنا من هذا المطلع ما فيه من ترتيب ، و أعدنا ترتيب الألفاظ على نحو يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فليل .

١- دلائل الإعجاز ٣٧٩ .

(من نبك قفا حبيب ذكرى منزل)

فلن يتعلق الفكر بمعنى كلمة منها ؛ لأن الفكر لا يتعلق إلا إذا توخينا إمكانات النحو في تركيب الكلام ؛ وهو ما صنعه امرؤ القيس من كون (نبك) جواباً للأمر ، وكون (من) معدية إلى (ذكرى) ، وكون (ذكرى) مضافة إلى (حبيب) ، وكون منزل معطوفاً على (حبيب) وجملة الأمر أنه لا يكون هناك إبداع في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة و صيغة ، وإن لم يقدم ما قدم ، ولم يؤخر ما أخر ، وبديء بالذي ثنى به ، أو ثنى بالذي ثلث به ، لم تحصل الصورة الأدبية " (١)

ويعن الجرجاني في بيان أهمية النظم ، وأن قيمة اللفظ تبرز من خلال السياق ، وانضمامه إلى أخواته في التركيب ، يقول : " وهل يقع في وهم ، وإن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ..

وهل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ؟

١- نفسه ص ٣٤٠.

وهل قالوا : لفظة متمكنة و مقبولة ، وفي خلاله قلقة و نائية
و مستكرهة إلا و غرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه
و تلك من جهة معناهما ، و بالقلق و النبوعن سوء التلاؤم " (١).

الفصاحة للكلمة إذن من خلال السياق ، و شرف المعنى يتأتى
من النظم الجيد الذي يضم الكلمات إلى بعضها في سبك جيد تبرز من
خلاله فصاحة الكلمة .

و يدل الجرجاني لرأيه من أن قيمة الكلمة في وجود السياق بأن "
الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ، ثم تراها تنقل عليك و توحشك في
موضع آخر " (٢).

وهذا كلام طيب ، من منطلق " أن الأسلوب هو الرجل " ، و أننا
نفضل كاتبًا على آخر ، لما يتسم به من متانة أسلوب ، أي يحسن
اختيار اللفظ و ضمه إلى غيره من الألفاظ ، و يؤلف بينها في تراكيب
جيدة .

ولأن عبد القاهر يهتم بالمعنى ، فقد جعله تركيبًا عقليًا في نفس
الشاعر ، ثم يأتي الرمز اللغوي يبرز هذا المعنى و يخرج به إلى الوجود من
خلال النحو و ما يتضمنه من علاقات التقديم و التأخير و الاشتغال

١- دلالات الإعجاز ص ٢٦ .

٢- نفسه ص ٢٨ .

والتعليق و الأعمال ، و الحذف ، وكلها أمور مهمة لازمة لتوليد الأنماط اللغوية ، وذلك يعتمد على ركائز ثلاث :

الأولى : النظم ؛ وهو العنصر الأساسي الذي يسبح بعملية توليد الجمل و التراكيب المجردة ..

و الثانية : الصوت ؛ الذي به يتحدد الشكل الصوتي لأي جملة قد تم توليدها ..

و الثالثة : الدلالة ؛ وهي ما يتصل بمعنى الجملة و طريقة تفسيرها من حيث نسبة المعاني إلى الموضوعات الشكلية التي تتجت عن العنصر الأول " (١) و عبد القاهر الجرجاني يستخدم كلمة " الأسلوب " للدلالة على التفرقة بين " نظم " ، و " نظم " .

يقول : " واعلم أن " الاحتذاء " عند الشعراء و أهل العلم بالشعر و تقديره و تمييزه ، أن يبتدىء الشاعر في معنى له و غرض أسلوبياً - و " الأسلوب " الضرب من النظم ، و الطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر إلى ذلك " الأسلوب " فيجيء به في شعره .. وذلك مثل أن الفرزدق قال :

أترجو ربيع أن يجيء صغارها بخير و قد أعيا ربيعاً كبارها

١- راجع مطلة فصول المجلد الخامس ، العدد الأول ديسمبر ١٩٨٤ ، ص ٣٣،٣٤ من مقال (النحو بين عبد القاهر و تشوفسكي لمحمود عبد المطلب .

واحتداه البعيث فقال :

أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليبًا قديمها^(١)

انظر إلى تعبير عبد القاهر : الأسلوب : الضرب من النظم

و الطريقة فيه وهذا تعبير صريح يوقفنا على ما يسمى بلغة العصر
(الأسلوبية) أي نمط التعبير الذي ينتهجه الكاتب أو الشاعر.

وفي منهج الأسلوب و الأسلوبية دار حديث كثير ، و تناولته أقلام

النقاد ، يقول د/ صلاح فضل :

".....إذا تصورنا علم الأسلوب جزءًا من علم اللغة ، كان علينا أن

نحلل نظريته إلى عناصرها المختلفة ، فنجعل أسلوب النصوص الأدبية
تطبيقًا جزئيًا لمقولة أسلوبية عامة " (٢).

كما يرى (سوسير) رائد الأسلوبية أن النظرية الأسلوبية تعتمد

على دقة النظام العام بأسلوب نص معين .

و التحليل الأسلوبي – كما يرى د. صلاح فضل يتعامل مع ثلاثة

عناصر:-

١-العنصر اللفوي ؛ إذ يعالج نصوصًا قامت اللغة بوضع شفرتها .

١- دلائل الإعجاز ص ٤٦٨ .

٢- مجلة فصول المجلد الخامس العدد ١ ديسمبر ١٩٨٤م ص ٤٧ .

٢-العنصر الشعري ، الذي يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل المؤلف ، و القارئ و الموقف التاريخي ، وهدف الرسالة وغيرها .

٣-العنصر الجمالي الأدبي ، و يكشف عن تأثير النص على القارئ وعن التفسير و التقييم الأدبيين له^(١).

لابد للناقد إذن أن يتعامل مع النص لغويًا ، ليتبين ما يقوم عليه من انزياح ، و خروج عن المألوف اللغوي ، وما في التركيب من روابط و تشكيل في التركيب ، و يدخل في ذلك - أيضًا - كاتب النص وما يحيط به من ظروف ، وما وقع تحته من تأثيرات أدت إلى كتابته ، و يتم في هذا الإطار تناول دلالات التراكيب ، وما اشتملت عليه من عناصر فنية جمالية ، فضلاً عما يحمل النص من رسالة وما انتهجه الكاتب في إيصالها إلى القارئ .

صلة الأسلوب بعلم اللغة :

لأن الشعر نظام لغوي ، فهو يعتمد على الصياغة بالدرجة الأولى وما يتخللها من جمل و عبارات ، وما تقوم عليه هذه الجمل من تقديم و تأخير ، و اتفاق أو خروج عن مقاييس اللغة و الصلة وثيقة بين اللغة والأسلوب ، لذا يلجأ المبدع و الناقد كلاهما إلى علم اللغة ، المبدع يوظف

١- نفسه ص ٤٨ .

اللغة داخل عمله الأدبي و الناقد ينظر إلى المقاييس و الأطر المنظمة لما
استخدمه المبدع من مفردات وصيغ و أنساق لغوية .
في الأسلوبية إذن يعتمد المبدع على العناصر الثلاثة :

- اللغة

- النحو

- الدلالة

اللغة بما تحمل من مفردات تنتظم في أساليب يصنعها المبدع
و ينظمها له علم النحو و يقيم الروابط بينها بما فيه من إسناد و ترتيب
أو تقديم و تأخير ، كما يلجأ إلى الدلالة ليتبين مدلول ما أتى به من صيغ
و قيمتها و تأثيرها على المتلقى .

ولا يتوقف الأمر على هذه العناصر فقط ، بل يساندها أمور أخرى
تؤخذ في الاعتبار مثل : مؤلف النص - الظروف التاريخية و الاجتماعية
لأن هذا كله من شأنه أن يكشف عن جوهر النص و يساعد الناقد في
الكشف عن ظواهره الأسلوبية ، و يمكنه من الحكم عليه حكماً صائباً .